هوامش

يعيش البوذيون في روسيا منذ نحو أربعة قرون، بعد مجيئهم من منغوليا، واليوم يبحثون عن استعادة تراثهم وبناء المعابد وتحويل مناطقهم إلى وجهات رائدة للسياحة الثقافية والدينية

احتفال براس السنة البوذية في ترانسبايكال الروسية في فبراير الماضي (سيرغي بوماغين/ Getty)

بوذيّو روسيا
تاريخ ديني ممتد لأربعة قرون

موسكو ـ **رامي القليوبي**

لطالما عاش البوذيون في روسيا، وهم الذين حضروا من منغوليا، قبل نحو 400 عام، بحرية وتمتعوا بدرجة عالية من الاستقلالية في الحقبة القيصرية، مع ذلك فقد تعرضوا للاضطهاد في عهد الزعيم السوفييتي، جوزيف ستالين. وفي غياب إحصاءات دقيقة، يقدر رئيس تحرير مجلة «البوذية في روسيا» أندريه تيرينتييف، عدد البوذيين هناك بأكثر من نصف مليون شخص يتركزون في جمهوريات كالميكيا وبورياتيا وتوفا ويعتنقون جميعاً البوذية التبتية، بالإضافة إلى معتنقي البوذية في موسكو وسان بطرسبورغ وغيرهما من المدن الكبرى. يقول تيرينتييف لـ«العربي الجديد»: «بدأ البوذيون بالظهور في روسيا قبل نحو 400 عام، حين هاجرت قبائل الأويرات من منطقة جونغاريا الآسيوية، فاستمروا في الترحال لبضعة عقود إلى أن وصلوا إلى ضفاف نهر فولغا، فاتفقوا مع قيصر روسيا على العيش ترحالاً في تلك المنطقة شريطة حماية الحدود الروسية. وتم السماح للأويرات بالحفاظ على استقلاليتهم وديانتهم البوذية، فاستوطنوا أراضي في محيط مدينة أستراخان ومنطقة بحر قزوين التي تسمى اليوم جمهورية كالميكيا».

وحول كيفية تمدد البوذية في عهد روسيا القيصرية، يضيف: «بعد مرور ما بين خمسين عاماً ومائة، اعتنق أغلبية البوريات البوذية، فأصبحت ديانة مهيمنة في بورياتيا الشرقية. أما جمهورية توفا التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الصينية، فكانت تخضع للقيادة البوذية في منغوليا، ثم أصبحت محمية روسية بعد نيلها استقلالاً عن مملكة تشينغ في عام 1914. وما زالت هذه المناطق الثلاث هي المراكز الرئيسية للبوذية في روسيا حتى اليوم».

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، بدأ الروس أنفسهم يبدون اهتماماً متزايداً بالشرق عموماً والبوذية على وجه الخصوص. ولم يمنع رفض الكنيسة الأرثوذكسية افتتاح معبد بوذي في العاصمة الروسية آنذاك بيتروغراد في عام 1915 وسط ارتفاع عدد البوذيين فيها إلى نحو 200 فرد، وكان من بينهم روس. بعد تأسيس الاتحاد السوفييتي ووصول ستالين إلى سدة الحكم، عاش البوذيون، شأنهم في ذلك شأن معتنقي جميع الأديان، سنوات عصيبة شهدت إغلاقاً ونهباً للأديرة واعتقال العديد من الكهنة اللاما في الثلاثينيات. لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، توجه ستالين نحو انتهاج سياسة أكثر تسامحاً مع الأديان، فتم السماح بممارسة البوذية في بورياتيا وحدها، ليستمر هذا الوضع حتى حقبة الإصلاحات (بيريسترويكا) في عهد آخر زعماء الاتحاد السوفييتي، ميخائيل غورباتشوف، في الثمانينيات من القرن الماضي. ويعلق تيرينتييف على وضع البوذية في الحقبة السوفييتية وبعدها، قائلاً: «تعرضت البوذية وغيرها من الأديان للاضطهاد في حقبة الاتحاد السوفييتي، لكن جرى افتتاح ديرين بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأ عدد الأديرة يتزايد بصورة مطردة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، ووصل إلى نحو 100 بحلول اليوم مقابل نحو 150 ديراً في عام 1917. كذلك، بدأت البوذية تنتشر بين أبناء الشعب الروسي، ليبلغ عدد معتنقي البوذية الجدد بينهم نحو 15 إلى 20 ألفاً. ومنذ نحو 30 عاماً، تجري أعمال بناء دير في موسكو لم تكتمل بعد». ويلفت تيرينتييف إلى أنّ البوذيين في روسيا اليوم لم يعودوا يمارسون ديانتهم بحرية فحسب، بل يعملون على تحويل المعالم البوذية إلى وجهات سياحية، مشيراً إلى نجاح تجربة جمهورية كالميكيا في جذب السائحين نظراً لسهولة الوصول إلى عاصمتها إيليستا الواقعة في جنوب الشطر الأوروبي من روسيا، كما يجري الترويج للرحلات السياحية إلى جمهورية بوريتيا الواقعة في جنوب شرق سيبيريا. في المقابل، ثمة عقبات أمام تنظيم الرحلات السياحية إلى جمهورية توفا المجاورة بسبب صعوبة الوصول إليها، وفق ما يوضحه الباحث الروسي.

ومع إطالة أمد القيود الصارمة على السفر إلى الخارج بسبب جائحة كورونا، تراهن شركات السياحة الروسية على تسويق مختلف أنواع الرحلات داخل روسيا. ويظهر البحث على مواقع الشركات السياحية الروسية أنّه يمكن حجز رحلة استكشافية إلى جنوب روسيا، مثلاً، تشمل زيارة بعض المدن والمعالم البوذية في إيليستا بأسعار تبدأ من نحو 300 دولار للفرد الواحد شاملة الإقامة والمزارات، على أن يسافر السائح إلى الوجهة بمعرفته وعلى نفقته. يذكر أنّ البوذية تعد الديانة الرابعة الأكثر انتشاراً في العالم بعد كلّ من المسيحية والإسلام والهندوسية، ويبلغ عدد معتنقيها نحو نصف مليار نسمة أو نحو 7 في المائة من إجمالي سكان العالم، وفق الأرقام الواردة بموقع مركز «بيو» الأميركي للدراسات.

باختصار

بدأ البوذيون بالظهور في روسيا قبل نحو 400 عام، حين هاجرت قبائل الأويرات من منطقة جونغاريا الآسيوية

■■■

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، توجه ستالين نحو سياسة أكثر تسامحاً مع الأديان، فتم السماح بممارسة البوذية في بورياتيا وحدها

■■■

بدأت البوذية تنتشر بين أبناء الشعب الروسي، ليبلغ عدد معتنقي البوذية الجدد بينهم نحو 15 إلى 20 ألفاً

وأخيراً

أنا فيمينست

رشا عمران

أعترف أنني قلت يوماً عن النسوية إنها تكريس لدونية المرأة في مجتمعاتنا العربية التي تتعامل بدونيةٍ أصلاً معها، وإن المطلوب نقلة في حقوق المواطنة للجميع، نساء ورجالاً، وإن الرجل فرض عليه دور المستبدّ عبر التشريعات والقوانين التي ميّزته عن المرأة لغرضٍ سلطوي سياسي واجتماعي، فالسلطة ذكورية، سواء سياسية أو دينية أو عائلية قبلية، وهو ما يستلزم تراتبيةً تضع الرجل في مقدمتها، وتطلب منه أدواراً تصبح جزءاً من منظومة تفكيره، تنشأ معه منذ ولادته، وتتكرّس في لاوعيه، لتصبح هي الثابت المطلق، وأي تحوّل فيها سوف يحيل إلى سلسلة من الصفات والأوصام التي تضع الرجل الراغب في الخروج عن السياق في النسق الاجتماعي الثاني، المخصّص للنساء، ويحظى بمقدار كبير من التهكّم الذي لا تتورّع كثيراتٌ عن المشاركة فيه، من دون اكتراثٍ بفحواه شديد الوضوح، الفحوى الذي يكشف تراتبية المجتمع ومكانة المرأة المتأخرة في هذه التراتبية.

وأحلت ظاهرة المرأة المتقمصة للذات الذكورية إلى متلازمة استوكهولم، فمن فرط التعدّي على حقوقها، ومن فرط إهدار أبسط مقومات شخصيتها، تماهت نساء كثيرات مع السلطة الذكورية الاستبدادية، في علاقتهن مع أنفسهن، ومع بنات جنسهن، مع بناتهن على وجه الخصوص، ومع زوجات أبنائهن وإخوتهن، ومع الظواهر الاجتماعية الإشكالية، كالتحرش والاغتصاب والحجاب وحرية الجسد والفكر والمعتقد. وتبدو اليوم صفحات التواصل الاجتماعي ميزاناً شبه مؤكّد لقياس نسبة هذه الشريحة إلى عدد النساء في مجتمعاتنا العربية، ويا للهول: لا تبدو نسبتهن مما يمكن الاستهانة به أبداً، بل تبدو هذه النسبة مدعاةً لمزيد من الخوف مما ينتظر مستقبل هذه المجتمعات التي أخفى استبداد أنظمتها، وإجرام هذه الأنظمة، أساساً، أي ملمح لمستقبلها، على كل الأصعدة السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية، وبطبيعة الحال، الاجتماعية، حيث بنية المجتمع الحالية مثال أوضح عن بنيته في المستقبل. وفي حالنا لا شيء يبشّر بالخير.

لكن، ومع الانكشاف المريع لحال مجتمعاتنا العربية بعد الربيع العربي، وبعد انتشار وسائل التواصل وسهولة وصولها واستخدام الجميع لها، انكشف أن ما كان قرار لعب الرجل دور المستبد صار واقعاً وحقاً مكتسباً لا يقبل التنازل عنه، إذ من خلاله يمكنه أن يمارس السلطة التي على ما يبدو أن غالبية الرجال يحلمون بامتلاكها، على نساء محيطه: نساء بيته، عائلته، حارته، مذهبه، دينه، بلده. باختصار غالبية الرجال يحلمون أن يصبحوا زعيم القبيلة أو شيخها الذي يتحكم بحياة «حرائر» القبيلة و«جواريها» ومصائرهن، ومن هم «ملك اليمين». وغالبية رجال مجتمعاتنا للأسف لا يرون النساء سوى «ملك اليمين». لهذا، ربما كثيراً ما نقرأ في النقاشات الحادّة على وسائل التواصل: «هل تقبل أو هل تسمح لابنتك أو أختك أو زوجتك بفعل كذا؟». إذ يفضح هذا التعليق الأكثر انتشاراً وضع المرأة في مجتمعاتنا، سواء تعيش هنا أو انتقلت إلى العيش في مجتمعات أخرى جعلت «رجل القبيلة» يشعر ببدء فقدان سلطاته، فازداد تطرّفاً وعنفاً وتمسّكاً بصلاحياته في التحكّم بما ملكت أيمانُه. هل حركة الفيمينسيت ضرورية في مجتمعاتنا؟ هي أكثر من ضرورية، وعليها أن تكون أكثر فعاليةً وحركةً وتمدّداً، وهو ما لا تسمح به السلطة الحاكمة، السياسية والدينية، فحصول المرأة على حقوقها الكاملة، وأولها حقها في خيارات حياتها وجسدها وشكلها، هو أول ما يقوّض قوة هذه السلطة التي أكثر ما يفيدها بقاء القبيلة على حالها، وبقاء شيخ القبيلة بكامل قوته! حاولت هذه السلطة وستحاول قمع أي تحرّك للفيمنيست، عبر تشويه صورة ناشطاته، واعتبار نشاطهن نابعاً من مكان وحيد، هو «عقدة الرجل»، ومن مشكلاتٍ شخصيةٍ وأمراض نفسية تعاني منها الناشطة، لا من إيمان بضرورة التغيير، أو من ثقافةٍ ترى في خلخلة السلطة الذكورية أول بوادر التغيير.

ما الطريقة إلى ذلك في ظل هيمنة الاستبداد حالياً؟ أظن أن أول الطرق دعم الحركات النسوية في بلادنا، ولو بالتضامن المعنوي، هو في الإيمان بأن على كل امرأة منّا أن تدرّب نفسها على الشعور بأهمية أنها امرأة، وبحقها الإنساني في التعامل مع ذاتها، كما يتعامل الرجل مع حقوقه؟ هل هذا يلغي أن المواطنة هي الحل الأول لكل مشكلات مجتمعاتنا؟ حتماً لا، بل هو تأكيد على هذا المطلب الذي لا يمكن لأي تغييرٍ أن يحدث بدونه.

> على كل امرأة منا أن تدرّب نفسها على الشعور بأهمية أنها امرأة، وبحقها الإنساني في التعامل مع ذاتها

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**